بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 23-9-2011م الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة قرأتُ في كتاب

((المواطنة حقوق وواجبات))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسلهُ ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((يا أيها الناس، إن أباكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم، وآدم خُلِقَ من تراب))** [البزار والطبراني]

جاء رجلٌ فقعد بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتِمهم، وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **((إذا كان يومُ القيامة يُحسَب ما خانوك وعصوك وكذَّبوك وعِقابُك إياهم، فإن كانَ عقابك إياهم بقدر ذنوبهم: كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عِقابك إياهم دون ذنوبهم، كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذُنُوبهم، اقتُصَّ لهم منك الفضلُ))، فتنحَّى الرجل وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((أما تقرأ قول الله تعالى:** ﴿وَنَضَعُ

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:47] **فقال الرجل: يا رسولَ الله، ما أجدُ لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم، أُشْهِدُك أنَّهم كلّهم أحرار**)) [الترمذي]

هذه هي الخطبة الرابعة في سلسلة "قرأت في كتاب"، أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

(المواطنة، حقوق وواجبات).

أيها الأخوة:

المواطنة والمواطن مأخوذة في اللغة من الوطن: وهو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، أما في الاصطلاح فالمواطنة صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن.

أو هو اصطلاح يُشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن، بمعنى العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات.

فالمواطنة وظيفة يتحتّم على المواطنين جميعاً القيام بأعبائها.

ذكروا بأن واحداً من الرؤساء قال عندما أنهى مدة رئاسته: إنه عائد إلى أعلى وظيفة في الدولة وهي وظيفة مواطن.

وقد اطّلعت على عدد من الكتب التي تتحدث عن المواطنة والهوية ،أو المواطنة الصالحة، أو المواطنة والجنسية، أو صناعة المواطنة، أو فلسفة المواطنة، أو مبدأ المواطنة، أو حقوق المواطنة وواجباتها، واخترت أن أحدثكم في الخطبة عن هذا الأخير لاشتراك أكثر الكتابات في المواطنة في الحديث عن حقوق المواطن وواجباته. وها أنا أعرض عليكم أهم الحقوق والواجبات.

أهم حقوق المواطن أربعة:

الحق الأول:

حق حماية دمه وماله وعرضه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا)) [البخاري].

ويتفرع عن هذا الحق حمايته من أن يَعتَدي امرؤ على ماله أو عرضه أو نفسه بغير حق قانوني، وأن يحاسب كل من اعتدى عليه أمام القانون.

وفي قصة القصّاص من ابن فاتح مصر لما اعتدى على القبطي ذكرى لمن يعتبر، وقد جرت مقالةُ عمر يومها قانوناً في الدنيا: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

كان سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: (لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل).

وهذا سعيد بن سويد يقول في إحدى خطبه بحمص: أيها الناس، إن للإسلام حائطاً منيعاً، وباباً وثيقاً، فحائطه الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتدّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل.

دخل الأشعث بن قيس على القاضي شُرَيح في مجلس الحكومة فقال شريح: مرحباً وأهلاً وسهلاً بشيخنا وسيدنا، وأجلسه معه، فبينما هو جالس معه إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث، فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلّم صاحبك، فقال: بل أكلّمه في مجلسي، فقال له: لتقومَن أو لآمُرَن من يقيمك، فقام امتثالاً لأمر القضاء والعدل.

ويروي أبو يوسف –وهو من أفذاذ القضاة– عن نفسه: أنه جاءه رجل يدّعي أن له بستاناً في يد الخليفة، فأحضَرَ الخليفةَ إلى مجلس القضاء، وطلب من المدعي البينة فقال: غصبه المهدي مني ولا بينة لديّ، وليحلف الخليفة، فقال أمير المؤمنين: البستان لي اشتراه

لي المهدي ولم أجد به عقداً، فوجّه القاضي أبو يوسف إلى الخليفة اليمين ثلاث مرات فلم يحلف الخليفة، فقضى بالبستان للرجل.

الحق الثاني:

حق حرية التدين وحرية التعبير والحرية الشخصية.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . . . ﴾ [البقرة:256]،

وقال سبحانه: ﴿ . .أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99].

ويتفرّع عن هذا الحق ألاَّ يُكرَه امرؤ على ترك دينه أو تغييره، وألا يُكرَه على اعتقاد مبدأ أو الانتماء لحزب، وأن يُحمَى من التدخل التعسفي في خصوصياته، ومن الحبس التعسفي والتعذيب.

الحق الثالث:

حق تولي وظائف الدولة على قدم المساواة والتشارك مع سائر المواطنين.

فلا يَستأثر بها فريق دون آخر ولا مواطن دون مواطن.

والحق الرابع الأخير:

حق كفالة الحاجات الإنسانية الأساسية.

من مطعم ومشرب ومسكن وعلم وعمل كريمين، ويتفرّع عن هذا الحق التأمين للمواطنين عند العجز والشيخوخة والفقر.

قدم على عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– بعض أهل المدينة، فجعل يسأله عن أهل المدينة: فقال: ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟ قال: قد قاموا منه يا أمير المؤمنين، قال: ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا؟ قال: قد قاموا منه وأغناهم الله.

قال: وكان من أولئك المساكين من يبيع الخبط للمسافرين، فالتمس ذلك منهم بعد، فقالوا: قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر بن عبد العزيز.

هذه هي أهم حقوق المواطنة، ومالم يَنَل المواطن هذه الحقوق فإنه يبقى يشعر بالأسى والضيم في وطنه، يألم ولا يأمل ويتعب ولا يرتاح.

أما واجبات المواطن فهي:

الواجب الأول:

واجب دفع الضرائب:

وعندما يلتزم المواطن بهذا الواجب يساهم في اقتصاد الدولة، الذي يعود إليه على شكل خدمات وحقوق اقتصادية واجتماعية وثقافية كالضمان الاجتماعي والخدمات العامة.

والإسلام يدعو المواطنين إلى الالتزام بدفع الضريبة ما علم المرء أن هذا المال يُنفَق في المصالح العامة، ولم تكفِ سائر عائدات الدولة في هذه المصالح.

الواجب الثاني:

واجب الدفاع عن الدولة:

وهو ما يسمى بواجب الخدمة العسكرية أو خدمة العلم؛ إذ يشارك المرء بالدفاع عن وطنه ومواطنيه في حالة الحرب، وهو واجب منطقي لأنه سيدافع عن دولة حقَّقت له مواطنته، من خلال ما وفرت له من حقوق وحريات وخدمات، وسمحت له بالمشاركة في الحكم.

الواجب الثالث:

واجب الالتزام بالقوانين:

فطالما لا تخالف هذه القوانين الشريعة، وشُرعت عن طريق السلطة التي يقرُّها الشعب والمخولة بذلك قانوناً، وطالما ستطبَّق هذه القوانين على الجميع بشكل متساو دون تمييز، فالأمر الطبيعي أن يقوم المواطن باحترام هذه القوانين التي تحقق بدورها الأمن

والنظام والحماية المطلوبة، وستؤدي إطاعة القوانين إلى تحقيق المساواة والديمقراطية وتحقيق التكافل الاجتماعي بين جميع المواطنين في الدولة.

الواجب الرابع:

واجب المشاركة في تحسين الحياة السياسية والمدنية.

أيها الإخوة: هذا شيء مما قرأته عن المواطنة.

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قريةٍ ولا أهل بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.**

وما من أهلِ قريةٍ ولا أهلِ بيتٍ ولا رجلٍ بباديةٍ كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)). [ابن مردويه وابن كثير]

و الحمد لله رب العالمين